

الدرس الثالث

لا نزال مع هذه المنظومة النافعة الماتعة المفيدة للعلامة سليمان بن سحمان -رحمه الله تعالى- والتي نظم فيها علامات صحة القلب مما قرره ابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتابه: (إغاثة اللهفان)، وعرفنا أن الناظم -رحمه الله تعالى- بعد أن أنهى نظمه لتلك العلامات على صحة القلب أتبع ذلك بتقرير مفيد لعقيدة أهل السنة والجماعة المستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

وعرفنا أيضاً: أن نظمه للمعتقد في هذا الموضوع فيه تنبيه إلى أن العقيدة الصحيحة المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم هي الأساس والعمدة في صلاح القلب؛ إذ لا يمكن أن يصلح قلب بدون اعتقاد صحيح، فالاعتقاد لصلاح القلب وصلاح العمل كالأساس للبناء، وقد قال الله تبارك وتعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ} [إبراهيم: ٢٤]، فإذا لم يصلح الأصل، كيف يطيب الفرع؟! وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام: (ألا أن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)، فالناظم -رحمه الله تعالى- شرع في تقرير المعتقد بعد بيانه لعلامات صحة القلب.

*** المتن ***

فإن رمت النجاة غداً وترجو	***	نعيمًا لا يصير إلى زوال
نعيم لا يبيد وليس يفنى	***	بدار الخلد في غرف عوال
فلا تشرك بربك قط شيئاً	***	فإن الله جل عن المثل
إله واحد أحد عظيم	***	عليم عادل حكم الفعال
رحيم بالعباد إذا أنابوا	***	وتابوا من متابعة الضلال
شديد الانتقام بمن عصاه	***	ويصليه الجحيم ولا يبال

*** الشرع ***

هذا وما بعده كله تقرير للمعتقد الحق المستمد من كتاب الله سبحانه وتعالى.

قوله: فإن رمت النجاة غداً: رمت: أي طلبت ورجوت لنفسك النجاة غداً، أي يوم تلقى الله سبحانه

وتعالى وتقف بين يديه.

قوله: وترجو نعيمًا لا يصير إلى زوال: أي إن كنت تطمع أن تكون من الناجين يوم القيامة، ومن

الفائزين أيضًا بثواب الله سبحانه وتعالى في ذلك اليوم العظيم، فعليك بالعناية الدقيقة بإصلاح المعتقد وإقامة الأعمال كلها على توحيد الله وإخلاص الدين له.

قوله: النجاة: أي النجاة من النار، وسخط الله سبحانه وتعالى.

فهنا ذكر النجاة، وذكر في الوقت نفسه الفوز بالثواب، وترجو نعيمًا لا يصير إلى زوال، ترجو الفوز برضا الله، والفوز بجنته، ونعيمه سبحانه وتعالى.

قوله: نعيم لا يبيد وليس يفنى، بدار الخلد في غرف عوال: إذا كنت ترجو لنفسك ذلك النعيم الذي

لا ينفد، أي الذي يبقى ويدوم أبد الآباد، لا يحول ولا يزول، كما قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} [الكهف: ١٠٧]، وقال: {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ} [النحل: ٩٦]، فمن كان يرجو هذا النعيم فعليه بالعناية بإصلاح المعتقد، والابتعاد عن الإشراك بالله سبحانه وتعالى، وهذا هو الأساس الذي يبنى عليه الدين كله.

وقد جاء في الدعاء المأثور عن نبينا عليه الصلاة والسلام فيما كان يقوله في صلاته قبل أن يسلم: (وأسألك نعيمًا لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع)، فسأل الله سبحانه وتعالى النعيم الذي لا ينفد، أي الذي يبقى ويدوم، وهو نعيم الجنة.

قوله: فلا تشرك بربك قط شيئًا: أي احذر الشرك أشد الحذر، وجانبه أشد المجانبه، فلا تشرك بربك

أي شيء كان، فإن الشرك أظلم الظلم، وأكبر الجرم، وهو الذنب الذي لا يغفر، كما قال الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء: ٤٨]، وقال الله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ} [فاطر: ٣٦، ٣٧]: {لِلظَّالِمِينَ}: أي المشركين الكافرين.

قوله: شيئًا: جاءت نكرة في سياق النهي في قوله: لا تشرك. فجاءت نكرة في سياق النهي فتفيد

العموم، بمعنى أي شيء كان، احذر الشرك كله، قليله وكثيره، دقيقه وجليله، احذره أشد الحذر.

قوله: فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلُّهُ عَنِ الْمِثَالِ: فَإِنَّ اللَّهَ تَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ عَنْ أَنْ يُجْعَلَ نَظِيرٌ لَهُ وَمِثِيلٌ وَشَرِيكٌ يَدْعَى مَعَهُ،

وَتَصَرَّفَ لَهُ الْعِبَادَةُ، وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالْقُرْبَاتِ الَّتِي هِيَ لَا يَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَّا إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَلَّ وَتَنَزَّهَ عَنْ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢١، ٢٢]، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ} [النحل: ٧٤]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ٤]، وَالآيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرَةٌ.

وَتَنَزَّهَ اللَّهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ، مَقَامَ النِّهْيِ عَنِ الشَّرِكِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، يَأْتِي فِي الْقُرْآنِ كَثِيرًا فِي آيَاتٍ عَدِيدَةٍ، مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي سُورَةِ الزَّمَرِ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر: ٦٧]: فَتَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الْمِثَالِ وَعَنِ النَّظِيرِ وَعَنِ الشَّرِيكِ وَعَنِ النَّدِّ.

قوله: إِلَهٌ وَاحِدٌ أَحَدٌ عَظِيمٌ عَلِيمٌ عَادِلٌ حَكِيمٌ الْفَعَالُ: هَذِهِ أَسْمَاءُ وَصِفَاتٌ سَاقَهَا -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي

مَقَامِ تَقْرِيرِ تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ الْحَسَنَى وَالصِّفَاتَ الْعُلَى لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِلْمَ الْعَبْدِ بِهَا يَسْتَوْجِبُ إِفْرَادَ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، وَإِخْلَاصَ الدِّينِ لَهُ، وَعَدَمَ اتِّخَاذِ الشُّرَكَاءِ وَالْأَنْدَادِ، وَالْأَمْثَالَ وَالنُّظَرَاءِ.

قوله: إِلَهٌ: هَذَا اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنَى الْإِلَهَ، وَهُوَ بِمَعْنَى اللَّهِ، وَمَعْنَى الْإِلَهَ أَيُّ الْمَعْبُودِ؛ لِأَنَّ التَّأْلَةَ التَّعْبُدَ،

وَالْإِلَهَ هُوَ الْمَعْبُودُ، وَمَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَيُّ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا اللَّهَ، فَالْإِلَهَ هُوَ الْمَعْبُودُ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْإِلَهَ، أَيُّ هُوَ الْمَعْبُودُ بِحَقِّ، وَلَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ، {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [الحج: ٦٢].

قوله: وَاحِدٌ أَحَدٌ: وَكِلَاهُمَا اسْمَانِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، أَمَّا الْوَاحِدُ فَجَاءَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَى فِي قِصَّةِ يُوسُفَ: {أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [يوسف: ٣٩]، وَالْأَحَدُ فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ١-٤]، فَالْوَاحِدُ وَالْأَحَدُ اسْمَانِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهُمَا اسْمَانِ دَالَانِ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ وَالتَّفَرُّدِ، فَالْوَاحِدُ هُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِالْجَلَالِ وَالْكَمَالِ وَالْعِظَمَةِ، وَالَّذِي يَجِبُ أَنْ يَفْرَدَ وَأَنْ يَخْصَ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ، فَهُمَا اسْمَانِ دَالَانِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَتَوْحِيدِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ الْإِيمَانَ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ فِي رَبُوبِيَّتِهِ وَأُلُوهِيَّتِهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَالْأَحَدُ وَالْوَاحِدُ اسْمَانِ دَالَانِ

على الوجدانية، فالله أحد واحد، أي متفرد بالربوبية لا ند له، وبالأسماء والصفات لا مثيل له، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١]، وبالألوهية لا شريك له.

قوله: عظيم: وهذا من أسماء الله الحسنى، من أسمائه تبارك وتعالى الحسنى العظيم، وقد جاء في مواضع كثيرة من القرآن منها آية الكرسي، ختمت بقوله: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة: ٢٥٥]، فاسمه تبارك وتعالى العظيم دال على عظمته في أسمائه، وعظمته في صفاته، وعظمته في أفعاله، فهو تبارك وتعالى العظيم.

ومن الآثار التعبدية لهذا الاسم: أن يعظم العبد الرب العظيم سبحانه وتعالى، وأن يقدره حق قدره، {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً (١٦)} [نوح: ١٣ - ١٦]: وقاراً: أي عظمة وتعظيماً، وهذه آيات ومخلوقات تدل على عظمة الخالق وكمال المبدع سبحانه وتعالى، ومر معنا قول الله سبحانه: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام: ٩١]: أي لم يعظموه حق تعظيمه.

إذن: فمن الآثار التعبدية لهذا الاسم أن يعظم الله جل وعلا، وتعظيم الله إنما يكون بتوحيده، وإخلاص الدين له، وتنزيهه تبارك وتعالى عن الشريك والمثال، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى عن الكفار الذين يصلون يوم القيامة النار: {إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ} [الحاقة: ٣٣]؛ لأنه لو عرف عظمة الله لأخلص الدين له، ولم يجعل معه شريكاً حجراً من الأحجار، أو شجرة من الأشجار، أو قبراً من القبور أو غير ذلك.

قوله: عليم: وهذا أيضاً من أسماء الله الحسنى، وقد ورد في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وهو دال على كمال العلم، وأن الله سبحانه وتعالى أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، علم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون؟، وعلمه تبارك وتعالى علم كامل، لم يسبقه عدم، ولا يلحقه نسيان، وهو علم محيط بكل شيء، قال الله سبحانه وتعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً} [الطلاق: ١٢]، فالإيمان باسمه العليم يتضمن الإيمان بما دل عليه هذا الاسم من ثبوت العلم صفة لله تبارك وتعالى، العلم المحيط بكل شيء، {وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْماً} [طه: ٩٨].

قوله: عادل: وهذا فيه إثبات العدل صفة لله تبارك وتعالى، وقوله: عادل. هذا من باب الإخبار، يخبر

عن الله سبحانه وتعالى بأنه عادل، وفيه إثبات كمال عدل الله، أي أنه لا يظلم، {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [فصلت: ٤٦]، لا يظلم الله سبحانه وتعالى مثقال ذرة، فهو عدل لا يظلم.

وهو جل وعلا عدل يأمر بالعدل، {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ} [النحل: ٩٠]، فهو عدل يأمر بالعدل، ويجب العدل، وسبحانه وتعالى لا يظلم، وفي الحديث: (إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا).

قوله: حكم الفعال: أي أنه حكيم في أفعاله كلها، وأفعاله كلها صادرة عن حكمة، فهو عز وجل

حكيم، ومن أسمائه الحسنى الحكيم أي الذي له الحكم والحكمة، فأفعاله كلها صادرة عن حكمة، تنزه تبارك وتعالى وتقدس عن الباطل، وعن العبس، قال تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا} [المؤمنون: ١١٥]، {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا} [ص: ٢٧]، {أَلَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدىً} [القيامة: ٣٦]، فالله سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك، فأفعاله كلها عن حكمة.

قد أخبر جل وعلا أن خلقه للثقلين الإنس والجن من أجل عبادته، وإخلاص الدين له، قال: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]، هذه الحكمة من خلقه، فما خلق هذا الإنسان عبثاً، وما أوجده باطلاً، وإنما خلقه لمقصد عظيم، وغاية جليّة، وهي أن يعبد ربه، وأن يخلص الدين له، {إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}: أي إلا لآمرهم بعبادتي.

قوله: رحيم: الرحيم اسم من أسماء الله الحسنى، جاء في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، منها الفاتحة،

وبالسملة، فهو اسم من أسماء الله الحسنى دال على ثبوت الرحمة صفة لله، {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} [الأحزاب: ٤٣].

قوله: بالعباد: المراد بالعباد هنا أهل العبودية الخاصة؛ لأن العباد تارة يطلق ويراد العبودية العامة التي هي

ربوبية الله، وتارة يراد العبودية به العبودية الخاصة في مثل قوله: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} [الفرقان: ٦٣].

قوله: رحيم بالعباد: أي رحيم بالمؤمنين؛ لأن الرحمة هذه خاصة بأهل الإيمان، خصهم بها سبحانه

وتعالى.

قوله: إذا أنابوا وتابوا من متابعة الضلال: أي أن هذه الرحمة يكتبها لهم عند إنابتهم وتوبتهم إلى الله

سبحانه وتعالى، فذكر الإنابة وذكر التوبة، ومن الآيات التي جمع فيها بين الإنابة والتوبة، قول الله سبحانه: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ} [الزمر: ٥٣، ٥٤]، هذه الإنابة في قوله: {أَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ}، فأين التوبة في هذا السياق؟ {لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ}: أي توبوا إلى الله، {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}، أي توبوا مهما كانت ذنوبكم إياكم والقنوط، فمهما كانت الذنوب ومهما كانت المعاصي فالله جل وعلا لا يتعاضمه ذنب أن يغفره، مهما بلغ الذنب وعظم الجرم الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب.

والشرك يدخل هنا في قوله: {لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}: أي بما فيها الشرك، ولا تعارض بين هذه الآية: {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}، وبين قوله في سورة النساء: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} [النساء: ١١٦]، لماذا؟ لأن قوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} هذا في حق من مات، وقوله: {إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا} في حق من تاب، من تاب، تاب الله عليه مهما كان ذنبه، ومهما كانت جريمته، فقوله: {لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ}: أي توبوا إلى الله، وقوله: {أَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ}: أي أقبلوا عليه، وعلى طاعته، وإذا جمع بين التوبة والإنابة فإن التوبة تعني الإقلاع عن الذنوب، والإنابة تعني الإقبال على الله بفعل الطاعات، والاستكثار من العبادات.

قوله: إذا أنابوا وتابوا من متابعة الضلال: أي أقلعوا عن متابعة الضلال والباطل وأقبلوا على الله سبحانه وتعالى.

قوله: شديد الانتقام بمن عصاه: هذا مقابل لقوله: رحيم بالعباد إذا أنابوا، وتابوا. وهو أيضاً شديد

الانتقام بمن عصاه.

قوله: ويصليه الجحيم ولا يبال: أي أن من عصا الله سبحانه وتعالى كفراً وشركاً وتكديفاً، فإن الله

سبحانه يصليه النار ولا يبال، ويخلده فيها أبداً الآباد، ولا يكون له يوم القيامة أي مطمع في رحمة الله إطلاقاً، لا مطمع للكافر يوم القيامة في رحمة الله، ليس له إلا النار خالداً فيها مخلداً أبداً الآباد، لا مطمع له في الرحمة، قد مر معنا الآية الكريمة: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ} [فاطر: ٣٦].

وقوله: رحيم. ثم بعده قوله: شديد الانتقام. فيه الجمع بين الترغيب والترهيب، البشارة والندارة، مبشرين ومنذرين، وهذا في القرآن الكثير، {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وإيمان العبد بذلك كله هو الذي يحدث التوازن في العبودية عند العبد، خوفاً ورجاءاً، رغباً ورهباً، أما الذي يأخذ، {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}، ويترك ما بعدها، {وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ}، يأمن من مكر الله، والذي يأخذ، {وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ}، ويغفل عن، {أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}، يقنط من رحمة الله، وإذا جمعاً معاً حصل التوازن بالجمع بين الرجاء والخوف، يرجون رحمته، ويخافون عذابه.

*** المتن ***

فبادر بالذي يرضى لتحظى *** **بخير في الحياة وفي المال**
ولاظم ذكره في كل وقت *** **ولا تركز إلى قيل وقال**

*** الشرح ***

قوله: فبادر: فسارع يا من ترجو لنفسك النجاة وتروم السعادة يوم لقاء الله، {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ} [آل عمران: ١٣٣]، بادر وسارع، إياك والتكاسل والتقاعد والفتور، وعليك بالمسارعة والمسابقة بالخيرات.

قوله: بالذي يرضى: أي بالذي يرضاه سبحانه وتعالى من صالح الأعمال وسديد الأقوال.

قوله: لتحظى بخير في الحياة وفي المال: أي من أجل تحظى وتفوز بالخير في دنياك وأخراك.

وهذا فيه أن طاعة الله، والعمل بمرضاته سبحانه وتعالى سبب لسعادة العبد في الدنيا والآخرة، كما قال الله سبحانه وتعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٧]، فالعمل الصالح والإيمان يترتب عليه السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

قوله: ولاظم ذكره في كل وقت: أي لازم ذكر الله سبحانه وتعالى في كل الأوقات، وجميع الأحوال، ونبينا عليه الصلاة والسلام كان يذكر الله في كل أحواله، أي قائماً وقاعداً وعلى جنب، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في سورة آل عمران في أواخرها من صفات أولي الألباب: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ} [آل عمران: ١٩١].

قوله: ولا تركزن إلى قيل وقال: أي لا تضع وقتك في القيل والقال، وفي الحديث عن نبينا عليه الصلاة

والسلام: (إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً: ... يكره لكم قيل والقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)، فلا تركزن إلى قيل وقال، أي لا تضع عمرك وحياتك في قيل وقال، وإنما احرص على أن تشغل وقتك بذكر الله، ومن ذكر الله سبحانه وتعالى تعلم العلم، والتفقه في دين الله سبحانه وتعالى، ومطالعة كلام أهل العلم في المصنفات والمؤلفات العلمية، وأيضاً سماع الدروس العلمية وحضور مجالس العلم، هذا كله من حفظ الوقت في ذكر الله سبحانه وتعالى.

وأحد علماء الكلام بعد أن أمضى شوطاً طويلاً من عمره في علم الكلام الباطل، قال على وجه الندم من هذا الذي حصل منه في وقت طويل من عمره:

ولم نستفد من جمعنا طول عمرنا *** سوى أن جمعنا قيل وقال
قال ذلك على وجه الندامة، وإذا كانت الإنسان مجالسه قيل وقال، و(بئس مطية المرء زعموا)، قيل: كذا. ويقال: كذا. ماذا سيكون رصيده؟ ما الخيرات مما يريد أن يلقي الله سبحانه وتعالى به؟ شتان بين من رصيده قيل وقال، وبمن هو مشغول بذكر الله سبحانه وتعالى تفقهاً، وتعلماً، وتسبيحاً، وتهليلاً، وحمداً، ودعوة إلى الله، وغير ذلك من أبواب الخير ومجالاته.

*** المتن ***

وأهل العلم جالسهم وسائل * ولا يذهب زمانك في اغتفال**

*** الشرع ***

قوله: وأهل العلم جالسهم وسائل: هذا متعلق بما قبله؛ لأنه حذر من الركون إلى القيل وقال، أي

المجالس التي ليس بها إلا قيل وقال، قال: هذه ازهد فيها، واعرض عنها، ولا تجعلها من مجالسك. فلا تجالس أهل القيل والقال، وإنما جالس أهل العلم، فإن مجالستهم غنيمة وريح لك في الدنيا والآخرة؛ لأنهم يذكرون الغافل، ويعلمون الجاهل، ويعظون العاصي، ويشدون من أزر المطيع، ويفقهون في دين الله، ويعينون الناس على طاعة الله سبحانه وتعالى إلى غير ذلك من الخيرات التي يجريها الله سبحانه وتعالى على أيدي أهل العلم.

وفيه: التنبيه على أهمية المجالس التي فيها أهل الخير، وأهل الفضل، وأهل النبل، وأهل العلم، وأن هذه مجالس ينبغي على العبد أن يصبر نفسه فيها، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ دِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ

وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا { [الكهف: ٢٨]: هذه ثلاث انتبه لها: ولا تطع من هو موصوف بهذه الصفات الثلاث، {ولا تُطع مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا}، من كان هذا وصفه احذره، واحذر من مجالسته؛ لأنه في غفلة عن الله وعن طاعته، ومتبع لهواه، وأمره منفرد ضائع، فشخص هذه صفته ليس للمرء أن يجالسه؛ لأن في مجالسة مثل هؤلاء العطب، وإنما الذين يجالسون أهل العلم.

قوله: جالسهم: أي احرص على مجالستهم.

قوله: وسائل: أي أيضًا تعلم وتفقه واسألهم عما تجهل من أمر دينك.

قوله: ولا يذهب زمانك في اغتفال: أي إياك ثم إياك أن تذهب حياتك في الغفلة، والأيام والشهور والأعوام تجري، إن لم يأخذها ويزم نفسه بها بزمام الشرع، وإلا يذهب الوقت وينقضي العمر، فإياك أن يذهب عمرك وزمانك في اغتفال، أي في غفلة عن الله وعن طاعته سبحانه وتعالى.

يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتابه الوابل الصيب: فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى، وهو من أهل الغفلة، كان أمره فرطًا، فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه، وقدوته، ومتبوعه، فإن وجده كذلك فليبعد منه.

أي إن وجده غافلًا، متبعًا لهواه، أمره فرطًا، ضائعة عليه أوقاته، وهذا يكتشف في الفرائض بالدرجة الأولى ولا سيما الصلاة، ولهذا بعض من كانوا يرحلون قديمًا في طلب العلم إذا وصل إلى بلدة يتلقى العلم عن شيخ من الأسياف يمتحنه في الصلاة، ينظر في المسجد، هل هو مواظب على الصلاة أو لا؟ إن وجده مفرطًا في الصلاة تركه، فالصلاة محك وميزان يومي يكتشف فيه من جمع الله سبحانه وتعالى له أمره في طاعة الله، وبين من أمره فرطًا، والصلاة أكبر شاهد على ضياع الأمر؛ لأن الصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

وقرأت لأحد المعاصرين يقول: مرة في أحد المساجد حضرت لشخص يوصف بأنه داعية، ويتكلم عن الإسلام، والإسلام، والإسلام، كلام مؤثر جدًا، فأعجبت به، وقلت: هذا الشخص هو بغيتي، سألازمه، واستفيد منه. فسألت عن منطقته حتى استفيد منه، وأتيت إلى المسجد في صلاة الفجر، فلما صلينا ما وجدته، فقلت: لعله مريض أو مسافر. وجئت اليوم الثاني ما وجدته، فسألت عنه جماعة في المسجد، قالوا: هو لا يأتي إلى صلاة الفجر، ونادرًا يأتي. قلت: سأذهب إليه وأناصح. قلت: أنت تكلمت بالمحاضرة، أو الكلمة الفلانية، وهي مؤثرة وعظيمة، وأنا جئت أستفيد، قالوا: إنك ما تأتي للصلاة. قال: والله هناك التزامات كثيرة، ونسهر، وأعمال. هذا

أمره فرطاً، ضائع، والله لو كان الشخص يسهر في الليل يقرأ القرآن، ويعلم أن قراءة القرآن في الليل يترتب عليها ضياع صلاة الفجر، فلا يجوز له أن يقرأ القرآن في الليل، كيف بمن يسهر في المرح، وقيل، وقال، وأمور ما أنزل الله سبحانه وتعالى بها من سلطان، أو في النظر والمشاهدات المحرمة التي ابتلي بها كثير من الناس في زماننا هذا. فيقول ابن القيم -رحمه الله تعالى-: فينبغي للرجل أن ينظر في شيخه وقدوته ومتبوعه، فإن وجده كذلك فليبعد منه، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى، واتباع السنة، وأمره غير مفروط عليه، بل هو حازم في أمره فليستمسك بغرزه.

هذه كلمة ووصية عظيمة للإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- فيما يُسأل عنه كثيراً، ويسأل عن كثير من الشباب من يلزم، عن من يأخذ العلم؟ فهذه أمارات، وعلامات دقيقة جداً ذكرها الإمام ابن القيم مستنبطة من الآية الكريمة من سورة الكهف.

*** المتن ***

وأحسن وانبسط وارفق ونافس *** لأهل الخير في رتب المعال
فحسن البشر مندوب إليه *** ويكسو أهله ثوب الجمال

*** الشرح ***

هذه آداب عظيم وأخلاق جلية يحث الناظم -رحمه الله تعالى- على التحلي بها. **قوله: وأحسن:** أي أحسن في عبادة الخالق، وأحسن في معاملة المخلوقين، فإن الله سبحانه وتعالى يحب المحسنين، والإحسان في عبادة الله هو العمل على تميمها وتكملها، والإحسان في معاملة المخلوقين بمعاملتهم بالمعاملة الكريمة بأن يحب لهم ما يحب لنفسه، وأن يعاملهم بالمعاملة التي يحب أن يُعامل بها. وهي الصفة الأولى التي يحث الناظم على التحلي بها. **قوله: وانبسط:** أي قابل الناس وعاملهم بالانبساط، كن منبسطاً تلقاهم بطلاقة الوجه، وجمال الحياء، وكرم الخلق والمعاملة.

قوله: وارفق: أي تحل بالرفق، فإن الرفق ما دخل في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه، وضد الرفق الطيش والعجلة والاندفاع، فيحذر من هذه الصفات، ويتحلى المرء بالرفق في معاملاته، (إن الله سبحانه وتعالى رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على ما سواه)، من العنف والشدة.

قوله: ونافس لأهل الخير في رتب المعال: احرص على أن تنافس أهل الخير في الرتب العالية التي ترتفع

بها درجات العبد عند الله سبحانه وتعالى، والتنافس في الخيرات أمر محمود ومرغب فيه.

وفرق بين التنافس والحسد:

التنافس: أن يجاهد الإنسان نفسه على أن يسبق الآخرين في المعالي، وهذا أمر محمود، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، فيحرص على المسابقة، يعني تعرف مثلاً من أحد أصدقائك، أنه كل يوم يأتي إلى المسجد بعد الأذان مباشرة، وتقول له: أنا أريد أن أسبقه، وأتي قبل الأذان. هذا محمود، أمر يحمد، والتنافس يكون سبباً في قوة العمل، والمزيد منه.

أما الحسد: فهو تمنى زوال الخير عن الغير، وهو أمر ذمه الله، وهو من صفات اليهود، ومن صفات إبليس، أمر ذمه الله سبحانه وتعالى.

قوله: فحسن البشر: أي أن يقابل الناس بوجه طليق، مثل ما في صحيح مسلم: عن أبي ذر: (لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق)، فالبشر وطلاقة الوجه سبب في جمال الشخص، والأخلاق هي حقيقة جمال لصاحبها، وزينة له، كلما زاد خلقه، زاد جماله.

قوله: ويكسو أهله ثوب الجمال: وهذا أيضاً فيه التنبيه إلى أن الثوب نوعان:

الأول: الثوب الحسي. وهو الملابس التي يلبسها الإنسان.

الثاني: الثوب المعنوي. وهو الطاعة والخلق والعبادة، كما قال الله: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

*** المتن ***

وأحب في الإله وعاد فيه *** وأبغض جاهداً فيه ووال
وأهل الشرك باينهم وفارق *** ولا تركن إلى أهل الضلال

*** الشرع ***

هذان البيتان عقدهما في بيان أوثق عرى الإيمان، كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام: (أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله)، وجاء في الحديث الصحيح عن أبي أمامة في سنن أبي داود وغيره، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أحب في الله، وأبغض في الله، وأعطى الله، ومنع الله، فقد استكمل الإيمان).

قوله: وأحب في الإله وعاد فيه، وأبغض جاهداً فيه ووال: أي ليكن حبك في الله، وعداؤك فيه،

وبغضك في الله، ومولاتك في الله، تحب الشخص لا تحبه إلا الله، وتبغضه لا تبغضه إلا الله، وتعادي الشخص لا تعاديه إلا الله، وتوالي الشخص لا تواليه إلا الله، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار).

قوله: وأهل الشرك باينهم وفارق ولا تركز إلى أهل الضلال: أي أن أهل الشرك باينهم، وفارقهم،

وابتعد عنهم، وكن في جانب بعيد عنهم، مثل ما قال خليل الرحمن في دعائه: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [إبراهيم: ٣٥]: أي اجعلني في جانب بعيد عن الأصنام، وعن عبدة الأصنام.

وهذا فيه أن الموحد مطلوب من براءتان: براءة من الشرك، وبراءة من أهله، مباينة للشرك، ومباينة لأهله، مثل ما قال الله سبحانه وتعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الممتحنة: ٤]، فهما براءتان.

قوله: وأهل الشرك: هم الذين يتخذون مع الله شركاء، سواء كان الشريك حجراً، أو شجراً، أو قبراً، أو

ولياً، أو غير ذلك، فالشرك شرك كيفما كانت صورته، والعبادة صرفها لغير الله شرك، أيًا كان هذا المعبود الذي صرفت له العبادة، فالعبادة حق لله، لا يجوز أن تصرف إلا له، {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [الجن: ١٨]، فمن دعا غير الله، أو عبد غير الله، أو صرف شيئاً من عبادته لغير الله كان من المشركين، وقد قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].